وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

أسسُ النهضة في القرآن الكريم

اسم الباحث/ـة

د/ كوثر عبد الله أحمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ومَنَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ناصر الحق بالحق، **أما بعد.**

فإن القرآن الكريم هو المشعل الوقاد، والمنار المضيء الذي ينير لأجيال أمتنا الطريق نحو المجد والرفعة والسعادة وقيادة الدنيا إلى الخير والحق، بل إن القرآن هو الذي يربي الأمة على الأنفة وإباء الضيم، وينفخ في أفرادها روح التمرد على الظلم والفساد،

ويرفع الأمة إلى سلوك السبل المستقيمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

ومهما تقدمت الأيامُ وكرت الليالي فسيبقى القرآنُ ملاذَ هذه الأمة، تفزعُ إليه في كلّ الأزمان، فيأخذ بيدها إلى الخير والتقدم والصلاح، ويبلغها السعادة والمجد والفلاح، بل يبقى الملاذ الأوحد الذي لا تجد سواه.

وقد أنزله الله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ليهدي الناس إلى الحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويسلك بهم طريق الرشاد، فكانت فيه الأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية والخلقية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

أهمية موضوع البحث وأهدافه:

(١) سورة النساء الآية ٩٧.

هناك عدة أهداف ودوافع وراء اختيار هذا الموضوع، أهمها ما يلي:

١-رغبتي في اختيار موضوع يتعلق بالقرآن الكريم تقرباً إليه سبحانه وتعالى بأحب الأعمال إليه، وخدمةً لكتابه العزيز.

٢-العناية الفائقة من القرآن الكريم بالمجتمع الإسلامي، إذ شغلت الآياتُ التي تحدثت عن هذا الموضوع مساحةً كبيرة من القرآن الكريم وهذا يدل على أهمية هذا الموضوع.

٣-محاولة الكشف عن مزايا الأسلوب القرآني وشموله في تناول هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لم أقف حسب اطلاعي على بحث يتناول هذا الموضوع تناولاً شاملاً، ولم يكتب في هذا الشأن إلا عبارة عن مادة مفرقة بين المصادر والمراجع، فلذا أحببت أن أجمع الآيات القرآنية والأحاديث التي تتحدث عن هذا الموضوع في بحث واحد.

منهج البحث:

١. اعتمدت في كتابة هذا البحث على منهج التفسير الموضوعي (المنهج الوصفي – التاريخي) حيث قمت بتتبع الآيات التي تشمل موضوع البحث، وكذلك استعنت بإيراد بعض الأحاديث النبوية التي وردت في هذا الموضوع.

٢. فسرت بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها موضوع البحث.

٣. اكتفيت في حال تعدد الأقوال بذكر القول الراجح أو المناسب ولم ألزم نفسي بسرد الأقوال المتعددة في كل مسألة مخافة الإطالة.

٤. خرّجت الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة من الصحيحين أولاً أو أحدهما ثانياً، وإذا لم يوجد فيهما اجتهدت في تخريجه من بقية كتب الحديث الستة أو غيرها من المسانيد أو المجاميع وكتب التفاسير المسندة، واتجهت هذا الاتجاه في تخريج الآثار المروية عن الصحابة والتابعين.

٥. واستعنت في حالات نادرة ببعض كتب التاريخ التي كتبها بعض المفسرين من كتب التاريخ لبعض العلماء، كما استعنت أيضاً ببعض كتب السيرة النبوية.

محتوى البحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً.

المبحث الثاني: القرآن الكريم سبب النهضة.

المبحث الثالث: القرآن الكريم يوجه إلى تقوية الروابط الاجتماعية.

المبحث الرابع: عناية القرآن الكريم بالأسرة.

المبحث الأول: التعريف بالقرآن الكريم

المطلب: **معنى القرآن في اللغة:**

القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء فهو قرآن، أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه الجمع والضم، ومنه: ما قرأت هذه الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد(١). قال أبو عبيدة(٢) – رحمه الله – "وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية القرآن، قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)(٣)، مجازه تأليف بعضه إلى بعض، ثم قال في آية أخرى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ)(٤). مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع، وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع، ثم استشهد على هذا المعنى، بقول عمرو بن كلثوم(٥):

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِيْنَا (٦)

---

(١) الجوهري، الصحاح، مادة قرأ، ٦٥/١.

(٢) أبو عبيدة: هو معمر بن المثني التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٠٩هـ، وقيل ٢١٠. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٥/٩.

(٣) سورة القيامة الآية ١٧.

(٤) سورة النحل الآية ٩٨.

(٥) عمرو بن كلثوم: هو أبو عباد عمرو بن كلثوم التغلبي من أصحاب المعلقات السبع، ومن كبار شعراء الجاهلية، كان أعز الناس وأكثر العرب ترفعاً، وأمه ليلى بنت المهلهل، ساد قومه وهو في الخامسة عشر من عمره ومعلقته هي الخامسة في المعلقات، انظر:أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ص١٨٠.

(٦) لم أقف على ديوان عمرو بن كلثوم، والبيت ورد عند الزوزني في شرح المعلقات السبع، شرح ديوان عمرو بن كلثوم، في معلقته التي مطلعها:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وجاء عجز البيت في شرح ديوان عمر بن كلثوم :

---------- تربعت الأجارع والمتونا

وجاء عجز هذا البيت عند أبي بكر محمد بن الأنباري:

---------- هجان اللون لم تقرأ جنينا

:شرح القصائد السبع الطوال،أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٣م ص ٣٨٠.

أي لم تضم في رحمها ولد قط[١]، فسمى القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور، بعضها إلى بعض[٢].

ويذكر أبو بكر الباقلاني[٣]: إن القرآن يكون مصدراً واسماً، مصدراً كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٤]، واسماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٥]، ويُروى عن الشافعي[٦] – رحمه الله – : "أن القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق، كالتوراة والإنجيل"[٧].قال الإمام القرطبي[٨] – رحمه الله –: "والصحيح الاشتقاق في الجميع"، أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

المطلب الثاني: القرآن الكريم في الاصطلاح:

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يُسمى به شيء غيره

(١) أبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، الناشر، محمد سامي أمين الخانجي، مصر ط١، ١٣٨١م ، ١/١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٢٨/١.

(٣) أبو بكر الباقلاني: هو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني البصري المالكي، صاحب المصنفات، وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة، وكان ورده في الليل عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه، يُعد من أكبر الأشاعرة، توفى سنة ٤٠٣هـ. انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ١٦٧/٣.

(٤) سورة القيامة الآية ١٧.

(٥) سورة الإسراء الآية ٤٥.

(٦) الشافعي: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ينتهي نسبه إلى عبد مناف جد النبيﷺ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، وتلقى تعليمه بمكة والمدينة، هو إمام المذهب الشافعي، وتتلمذ على يديه علماء أجلاء منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأبو ثور وإبراهيم بن خالد الكلبي وغيرهما، وكانت له مآثر جليلة ومناقب عظيمة، توفي رحمه الله في رجب من سنة ٢٠٤هـ، من مؤلفاته الأم، الرسالة، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢٥/١٠ – السبكي، طبقات الشافعية، ١١-١٤.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/٢.

(٨) سبق ترجمته ص ١٤.

من سائر الكتب[١]، وإضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله.

قال أبو جعفر الطحاوي[٢]- رحمه الله - : "وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، وليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر"[٣].

وهو كلام الله المعجز، ودينه المنزل على نبيه محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته[٤].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٨.

(٢) أبو جعفر الطحاوي: هو الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي المصري، شيخ الحنفية في عصره في مصر، ونسبه إلى طحاوية بصعيد مصر، توفى عام ٣٢١ بمصر، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٧٤.

(٣) علي بن علي بن عز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ١٢١-١٢٢.

(٤) لمحات في علوم القرآن، دكتور محمد لطفي الصباغ، ص٢٢٥، ط٣ ، ١٤٠هـ — ١٩٩١م.

المبحث الثاني: القرآن الكريم أساس النهضة:

لقد جاء القرآن الكريم بالعقيدة الصحيحة السليمة التي حلَّت للإنسان أعظم مشكلة تلح على وجدانه، فتمثله بالسؤال التالي: لماذا خلقت؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، ووضعت هذه العقيدة نظرة متميزة للإنسان والكون والحياة، فهذا الكون من صنع الله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢)، فليس الكون عدواً للإنسان، وليست الطبيعة خصماً له يصارعه ويغالبه، وإنما هي من خلق الله وهي صديق، فالأرض مذللة للإنسان وكل ما فيها مخلوق له: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (٣)(٤).

وقرر القرآن الكريم أن الناس مخلوقون من ذكر وأنثى، وموزعون إلى أمم متعددة لتتعارف: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٥). والإنسان مخلوق من مخلوقات الله، أصله من تراب: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (٦)، والناس متساوون ولا يتفاضلون إلا بالتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٧). والحياة الدنيا هي وحدها الطريق إلى الآخرة: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٨).

وقرر القرآن الكريم العقيدة السليمة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فالله جل جلاله واحد:

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.
(٢) سورة يس الآية ٨٢.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٩.
(٤) الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص٢٩-٣٠.
(٥) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٦) سورة فاطر الآية ١١.
(٧) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٨) سورة النساء الآية ١٢٤.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (١).

ومن يكفر بركن من أركان الإيمان فهو كافر: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ (٢).

والبعث حق آت لا ريب فيه وهو هين على الله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (٣).

وفي هذا الكتاب الكريم أسس النظام الروحي التي حققت للمرء أن يغذي نفسه بغذاء مستمر، يتمثل بعبادة الله وذكره والاتصال به تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤).

وفي هذا الكتاب الكريم أسس النظام الأخلاقي العظيم الذي جاء به الإسلام، فلم يتجاهل طبيعة النفس الإنسانية، فقد دعا إلى مكارم الأخلاق، وحذر من مساوئ الأقوال والأفعال، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥).

وفي القرآن الكريم أسس النظام السياسي الذي تقوم عليه دولةُ الإسلامِ معتمدةً على الشورى والعدل والمساواة وإحقاق الحق وإبطال الباطل: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (٦).

(١) سورة الإخلاص الآيات ١-٤.
(٢) سورة النساء الآية ١٣٦.
(٣) سورة القيامة الآيات ٣-٤.
(٤) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٥) سورة النحل الآية ٩٠.
(٦) سورة الحج الآية ٤١.

وهكذا فإن القرآن هو الدستور الذي حوى كل هذه الأسس، وقد أثبتت الأيامُ والتجاربُ أنه الدستور الصالح لكل زمان ومكان، وأن أحكامه هي العلاج الناجح لأمراض الحياة، لا اختلاف فيه ولا تناقض، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (١)، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٢)(٣).

وأن القرآن هو القوة المحولة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خلقت الوجود خلقاً جديداً، لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف من الأمة وخلفها جميعاً إلى يوم الناس هذا(٤).

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣)، لمحات في علوم القرآن، محمد الصباغ ص ٣٤.

(٤)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني د.ت، د.ط ٣/١.

المبحث الثالث: القرآن الكريم يدعو إلى تقوية الروابط الاجتماعية:

حرص الشارع الحكيم على تقوية الروابط بتعاهد الفراسة ومداومة الحراسة، حتى لا يخبو نورها، ولا يضعف دورها، ذلك أنه على الرغم من أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يألف ويؤلف، ويحرص على لقاء الآخرين، ويغشى تجمعاتهم، إلا أن الإسلام لم يركن إلى هذا الدافع الذاتي وحده؛ لأن في الإنسان ضعفاً ينسيه وميلاً إلى شغل يلهيه.

والروابط الاجتماعية واحدة من الأسس التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي، وعمل الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية بتشريع العديد من الواجبات الخاصة في دائرة الإنسان المحيطة به مباشرة، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: بر الوالدين وطاعتهما:

جعل الإسلام برَّ الوالدين قولاً وفعلاً وخاصة الأم - لضعفها ووفرة عاطفتها - فرضَ عين على كل ابن وابنة؛ لأن الأبوين سببٌ في وجود الولد، فقد تحملا العبء الكبير والشيء الكثير في رعايته وتربيته، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء : ٢٣ -٢٤].

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن فعل المباح ينقلب إلى واجب إذا أمر به أحد الوالدين أو كلاهما،

وأنه لا يجوز للابن أن يسافر في مباح إلا بإذن والديه [١].

والأصل في هذا، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبويَّ يبكيان؟ قال:

" ارجع عليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما" [٢] .

---

(١) إحياء علوم الدين ٢ / ٢١٨

(٢) سنن أبي داوود كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وأبواه كارهان، رقم ٢٥٢٨، وهو صحيح، كما في صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٦٤٨/٢

وهكذا يكون بر الوالدين والإحسان إليهما من أسباب الترابط في بيئة الإنسان الخاصة المحيطة به، وهو لا تزال آثاره مشهودة في المجتمع الإسلامي، في حين تفتقدها المجتمعات الغربية كما هو مشاهد،

حيث يهجر الأبناء آباءهم ولا يسألون عنهم، وربما مرت الشهور وهم لا يعرفون شيئا عن أخبارهم وأحوالهم، وما إذا كانوا في مرض أو عجز أو حاجة إلى إعانة.

ثانياً: صلة الأرحام والإحسان إليهم:

الأرحام هم: أقارب الإنسان من جهة أبيه أو أمه، كأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأبنائهم جميعا [1]. وقد أوجب الله تعالى برَّهم وحبَّهم والتعاطف معهم، ودعا إلى صلتهم بالكلمة الطيبة والهدايا، وإمدادهم بأنواع الخير والمعروف، ومواساتهم في كُرُباتهم، كما حرَّم إيذاءهم ونهى عن مجافاتهم ولو كانوا غير مسلمين، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [سورة محمد : ٢٢و٢٣].

وعن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما - قالت: قدمتْ أمي وهي مشركة، راغبة في عهد النبي ﷺ . أي: منتهزة صلح الحديبية واتصال الناس ببعضهم . فسألت النبي ﷺ أصِلُها؟ قال: " نعم " [2] .

إن صلة الأرحام تعود على فاعلها بالخير العميم في المال والعمر والعافية، ففي الحديث الشريف: " من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسَأَ له في أثرِه، فليصِلْ رحِمَه " [3] . وفي المقابل نجد أن قطيعة الرحم شؤم على صاحبها، فهي تبعده

(١) المغني ٩ / ٨٢ و١١ / ٤٢٥

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، رقم ٥٩٧٨

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم، رقم ٥٩٨٥، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٦٥٣٤

عن رحمة الله تعالى، وتحرمه من نعيم الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشريف: " لا يدخل الجنة قاطع رحم " [١] .

وإذا كانت صلة الأرحام على هذه الشاكلة الحميدة والمنافع العديدة، فهي تعدّ - بحق- سبباً من أسباب التآلف والترابط الاجتماعي التي عني بها الإسلام وأولاها رعايته واهتمامه.

ثالثاً: الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذائهم:

الجيران هم: من يساكنوننا في الحي، ولو كانوا على بُعْدِ أربعين داراً كما ورد عن عائشة رضي الله عنها [٢] ،

وكما أن الجار يكون في السكن فقد يكون في العمل.

والجيران على ثلاث درجات كما تدل عليه النصوص الشرعية العامة: جار له حق واحد، وهو الجار الكافر، وجار له حق الجوار، وجار له حقان، وهو الجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم ذو الرحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

وقد دعا الإسلام إلى إكرام الجار في سبيل زيادة التآلف الاجتماعي، وأوجب له حقوقاً كثيرة، ومن ذلك: الابتداء بالسلام، وإظهار السرور معه، وغض البصر عن حرماته، والتلطف مع أولاده، وحفظه في غيبته، والصبر عليه، وستر زلاته وما انكشف من عوراته، ومشاركته أفراحه، ومواساته في مصيبته، ودلالته على الخير والمعروف، وبذل ذلك له[٣].

والأصل في هذه الحقوق حديث: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم ٥٩٨٤، وصحيح مسلم، واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٦٥٢١

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/٤٤٧

(٣) إحياء علوم الدين ٢ / ٢١٣

فليُكرم جاره " [١] . وفي حديث آخر: " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه " [٢] .

ولعل هذه المعاني تشمل تعاون الجيران فيما بينهم على رعاية الحي الذي يسكنون فيه، والارتقاء به، وتنمية مرافقه، بما يعود عليهم وعلى حيهم بالخير.

وفي المقابل من ذلك، حرَّم الإسلام إيذاء الجار، ومنع من التعدي على حقوقه، أو الاستعلاء على داره بزيادة البنيان؛ مخافة الاطلاع على عوراته، أو حجب الهواء أو نور الشمس عن مسكنه، وفي الحديث الشريف: " والله لا يؤمن ـ كررها ثلاثا ـ الذي لا يأمن جارُه بوائقَه " [٣] .

فهذه نماذج وصور من الواجبات الاجتماعية تجاه الجيران، فإذا قام كل إنسان بحقوق جيرانه، أصبح أفراد المجتمع جميعاً متحابين متعاضدين؛ لأنهم جميعاً جيران، سواء في السكن أو في العمل والأسواق أو في المزارع.

- دعوة الإسلام إلى أسباب التآلف الاجتماعي العام تقوية للروابط الاجتماعية:

يحتاج الإنسان في أي عصر من العصور، إلى أن يعيش حياته الاجتماعية العامة في وفاق وتآلف وتعاون مع الآخرين، وقد حرص النبي ﷺ على تحقيق هذا المعنى وتطبيقه عملياً أول هجرته إلى المدينة، وذلك من خلال مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

ثم توالت تعاليم الإسلام تسقي شجرة هذه المؤاخاة وتغذّيها بأسباب التآلف الاجتماعي، التي انقلبت إلى حقوق ثابتة للمسلم على أخيه المسلم، لا يسعه التساهل فيها أو تركها، **ومن ذلك ما يلي:**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم ٦٠١٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٥، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٦٦٨٧

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٦

أولاً: إفشاء السلام:

معناه: نشره وتعميمه على الناس بالصيغة المأثورة: (السلام عليكم) لا بغيرها من الصيغ الوافدة كقول: " صباح الخير " أو " مرحبا " أو تحريك الرأس أو العينين، أو نحو ذلك مما فيه هجر للتوجيهات والشعائر الإسلامية، ولا يمنع من ذكر هذه الألفاظ ونحوها بعد السلام.

والبدء بالسلام سنة من سنن الإسلام، والحكمة منه: بذل الأمان للمسَلَّم عليه، وهو وسيلة ممهِّدة لتعارف الناس بعضهم على بعض، قال رسول اللهﷺ: " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟. أفشوا السلام بينكم " (١) .

وقد أكد الإسلام على ابتداء الآخرين بالسلام ومصافحتهم إن أمكن ذلك؛ لما فيه من تعميق معاني المودة والتآلف، والفوز بمغفرة الله تعالى، ففي الحديث الشريف: " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِر لهما قبل أن يفترقا " (٢).

ومن أحكام السلام وآدابه: ما ورد في الحديث النبوي: " يُسلِّم الصغير على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليل على الكثير " (٣). وأن يكون باللفظ لا باليد والأصابع فقط؛ احتراماً للآخرين وتقديراً لهم. ومنها: بذلُه عند مفارقة الآخرين، إشعاراً لهم بالذهاب، واحتراماً لهم، ودلالة على استمرار حسن العلاقة، وفي الحديث: " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلِّم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة " (٤).

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب المصافحة، رقم ٥٢١٢، وسنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، رقم ٢٧٢٧، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسلم القليل على الكثير، رقم ٦٢٣١، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي، رقم ٥٦٤٦

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب السلام إذا قام من المجلس، رقم ٥٢٠٨، وسنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب التسليم عند القيام وعند القعود، رقم ٢٧٠٦، وقال: هذا حديث حسن.

أما رد السلام فهو واجب ديني باتفاق الفقهاء، يأثم تاركه ويحاسب عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾ [النساء : ٨٦]. وفضلاً عن هذا، فإن عدم المبالاة برد السلام، سلوك اجتماعي شاذ، بل محرَّم وهو يدل على اضطراب في المزاج وجفاء في الطبع، ومن أجل تلافي ذلك، شرع الإسلام إفشاء السلام وأوجب رده؛ لما فيه من تقوية للتآلف الاجتماعي العام ونشر للمودة بين الناس.

ثانياً: توقير الكبار والعطف على الصغار

ليس من دين ولا نظام إلا وحث على توقير الكبار، ورحمة الصغار، كما فعل الإسلام، فقد عدَّ هذا طاعة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، ففي الحديث الشريف: " ليس منا من لم يرحم صغيرَنا ويوقِّر كبيرنا " (١).

وكان النبي ﷺ يتلطف بالصغار ويداعبهم؛ لما في ذلك من إدخال السرور عليهم وعلى أهليهم، وتقويةِ تآلفهم الاجتماعي، وهو الذي مازح طفلاً وواساه حال حزنه على موت عصفوره الصغير قائلا:

" يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَيْر؟. " (٢).

ثالثاً: أسباب أخرى تقوّي التآلف الاجتماعي:

شرع الإسلام العديد من الأسباب الأخرى في التآلف الاجتماعي، وجعلها من الحقوق الثابتة للمسلم على المسلم، بحيث لا يسعه تركها من غير عذر، ومن ذلك: الدعاء له، وإجابة دعوته، وتبادل الزيارة معه، وتشميته إذا عطس، وعيادته إذا مرض، وبرُّ قسمه، وستر عثراته، والصفح عنه، وإسداء النصيحة له، وإيثاره على النفس، وصدقه في الحديث، والذب عنه في غيبته، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن يكون قلبك سليماً عليه، وأن تشهد جنازته إذا مات. والأصل في هذا حديث: " حقُّ المسلم على المسلم خمس: رد

(١) سنن الترمذي، كتاب البروالصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم ١٩١٩، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم ٦١٢٩، وصحيح مسلم، كتاب الآداب، باب جواز تكنية من لم يولد له، رقم ٥٦٢٢

السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس "[1].

هذا، ومن أسباب التآلف الاجتماعي التي شرعها الإسلام: التزاور فيما بين الجيران والأصدقاء، وكفالة اليتيم، والإحسان إلى الأرملة والمسكين...إلخ.
والأصل في هذا كله قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة : ٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم٢٣٤٠، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم٥٦٥٠

المبحث الرابع: أهمية تكوين الأسرة ومكانتها في الإسلام:

أهمية الأسرة وتكونها من خلال الزواج الشرعي دون غيره:

اقتضت سنة الله تعالى في الخلق أن يكون قائماً على الزوجيّة، فخلق سبحانه وتعالى من كل شيء زوجين، قال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]

كما أودع سبحانه وتعالى ميلاً فطرياً بين زوجي كل جنس، فكل ذكر يميل إلى أنثاه، والعكس، وذلك لتكاثر المخلوقات واستمرار الحياة على وجه الأرض، وجعل سبحانه ميل الرجل إلى الأنثى والأنثى إلى الرجل مختلفاً عن باقي الكائنات، فالميل عند الإنسان غير مقيّد بوقت ولا متناه عند حد الوظيفة الجنسية، وذلك لاختلاف طبيعة الإنسان عن طبيعة الحيوان، فالصلة القلبية والتعلق الروحي عند الإنسان، لا يقفان عند قضاء المأرب فحسب، بل يستمران مدى الحياة.

ولما كان الإنسان مكرَّماً مفضلاً عند خالقه – عز وجل – على كثير ممن خلق، فقد جعل تحقيق هذا الميل واتصال الرجل بالمرأة عن طريق الزواج الشرعي فقط، ولهذا خلق الله آدم عليه السلام وخلق منه حواء، ثم أسكنهما الجنة فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [لأعراف: ١٨٩] وقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥].

وهكذا كانت أول أسرة في تاريخ البشرية هي أسرة آدم عليه السلام، ثم تكاثرت الأسر وانتشرت إلى ما نراه اليوم، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات: ١٣].

لقد عُنِيَ الإسلام بالأسرة، فأحاطها بسياج من العناية والرعاية، وحرص على استمرارها قوية متماسكة، وما ذلك إلا لمكانة الأسرة وأهميتها، فما مكانة الأسرة في الإسلام؟

وتبرز أهمية الأسرة ومكانتها من خلال ما يأتي:

– تحقيق النمو الجسدي والعاطفي، وذلك بإشباع النزعات الفطرية والميول الغريزية، وتلبية المطالب النفسية والروحية والجسدية باعتدال ووسطية. (١)

– تحقيق السكن النفسي والطمأنينة قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

– الأسرة هي الطريق الوحيد لإنجاب الأولاد الشرعيين، وتربيتهم، وتحقيق عاطفة الأبوة والبنوّة، وحفظ الأنساب.

– تعدّ الأسرة مؤسسة للتدريب على تحمل المسؤوليّات، وإبراز الطاقات، إذ يحاول كلٌّ من الزوجين بذل الوسع للقيام بواجباته، وإثبات جدارته لتحقيق سعادة الأسرة.

– تعد الأسرة هي اللبنة لبناء المجتمع فالمجتمع يتكون من مجموع الأسر.

ثانياً: مكانة المرأة في الإسلام

أنصف الإسلام المرأة، وأعطاها حقوقها المختلفة، ورد لها اعتبارها كإنسان، وحظيت بمكانة عظيمة لم تحظَ بها في أي مجتمع غير مسلم، سواء أكان قديماً أم حديثا، ومن مظاهر هذا التكريم:

أقر الإسلام إنسانية المرأة وكرامتها، وأنها مخلوقة من نفس الرجل، وهي إنسانة مثله تماماً، في الخلقة وأصل الكرامة(٢) ، قال تعالى: ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١].

وبرأها مما ألصقه بها بعض أصحاب الديانات السابقة من أنها أم المصائب، وأنها سبب إخراج آدم من الجنة، وبيّن أن الشيطان هو السبب في إغراء آدم وحواء (٣) ، قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]. وحرم التشاؤم بولادتها، أو التعرض لحياتها بغير حق، بأي شكل من الأشكال. وأمر الإسلام بإكرام المرأة في جميع مراحل حياتها، سواء

(١) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر لوهبة الزحيلي، (ص ٢١).

(٢) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني (ص ٣٩) وما بعدها.

(٣) مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، لبلتاجي (ص ٧١) وما بعدها.

كانت أمّاً أو بنتاً أو زوجة.

أما الأم: فقد ثبت إكرامها بنصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الاسراء: ٢٣] فقد قرن هنا سبحانه الإحسان للأبوين بعبادته. وقد جاء رجل إلى رسول الله فقال: " من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال ثم من؟ قال: ثم أبوك".(١)

وأما البنت: فقد رغب الإسلام في تربيتها، والإحسان إليها، ورتّب الأجر العظيم على ذلك، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال: "من ابتلي(٢) من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار" (٣)

وأما الزوجة فقد جاء إكرامها كذلك في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [النساء: ١٩]، وقال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(٤).

وجعل الإسلام المرأة أهلاً للتكليف، فهي مكلفة كما أن الرجل مكلف، ومجزية بأعمالها دنيا وآخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر،

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، أعطاها الإسلام حقوقاً مالية بعد أن كانت محرومة منها، فلها حق المهر، ولها أن ترث، وتتصرف فيما تمتلك، وفق حدود الشرع (٥). وجعل لها الحق في المشاورة

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم ٥٩٧١ وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين، رقم ٢٥٤٨ واللفظ لمسلم.

(٢) سماه ابتلاءً، لأن الناس كانوا يكرهونهن في الجاهلية.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، رقم ١٤١٨، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الاحسان إلى البنات، رقم ٢٦٢٩

(٤) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم ١٤٦٧ في تشريع النفقات الواجبة وفي المهر وغيرهما.

(٥) في تشريع النفقات الواجبة وفي المهر وغيرهما.

وإبداء الرأي، بعد أن كانت مسلوبة تماماً من هذا، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[البقرة: ٢٣٣]

ثانياً: الاستئذان لدخول البيوت:

إن من صور اهتمام الإسلام بأتباعه، وحفاظه على الأسرة المسلمة، **مشروعية الاستئذان**، فقد حرَّم الإسلام دخول مساكن وبيوت الغير إلا بإذن، قال تعالى: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَى أَهْلِهَا ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧]،

والمراد بالاستئناس في الآية: الاستئذان، فسره بذلك ابن عباس وغير واحد[١].

قال ابن سعدي: سمّي الاستئذان استئناساً؛ لأنه به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة[٢]

وقد شرع الله تعالى الاستئذان صيانة للذين في داخل البيوت وحفاظاً عليهم، ومراعاة لحرياتهم في بيوتهم، لئلا يطلع أحد على العورات وما لا يجوز النظر إليه، من النساء وغيرهن، فإنه يترتب على ذلك مفاسد

كثيرة، وعواقب وخيمة. وهذا الأمر – أي المنع من النظر– هو أبرز أسباب

وحِكَم مشروعية الاستئذان، لما روى سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

"اطلع رجل من جُحْرٍ في حُجَر النبيﷺ ومع النبي ﷺ مدرىً[٣] يحكُّ به رأسه، فقال: "لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينيك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر" متفق عليه[٤]

قال الحافظ ابن حجر: أصل مشروعية الاستئذان للاحتراز من وقوع النظر إلى ما لا يريد صاحب المنزل النظر إليه لو دخل بغير إذن، وأعظم ذلك النظر إلى

---

[١] تفسير القرآن العظيم ، تأليف/ الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير، ٢٧٩/٣.

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، تأليف/ عبدالرحمن بن سعدي ص٦١٠.

[٣] المِدرَى: بكسر الميم وإسكان الدال المهملة و بالقصر: حديدة يسوَّى بها شعر الرأس، وقيل: هو شبه المشط، وقيل: هي أعواد تحدَّد تُجعل شبه المشط، و جمعه مداري. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١١٥/١٤.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستذان من أجل البصر، رقم [٦٢٤١].صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم: [٢١٥٦].

النساء الأجنبيات [١].ومن المعلوم أن أهل البيت إذا استأذنهم أحد بالدخول، فإنهم قبل الإذن له سيهيئون المكان إن لم يكن مهيئاً، وتذهب النساء عن مكان الاستقبال، أو طريق الداخل، ويبذلون كل ما من شأنه الحفاظ على مظهر بيتهم ، وعدم اطلاع أحد على ما يسوؤه، أو يلوم أهل البيت عليه، ونحو ذلك.وقد ذكر ابن سعدي في تفسيره مفسدتين من مفاسد ترك الاستئذان فقال:

منها: ما ذكر الرسول ﷺ حيث قال: "إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر" فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها : أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويُتَّهم بالشر، سرقة أو غيرها، لأن الدخول خُفية ، يدل على الشر[٢].

وإذا كان الإسلام قد حرم الدخول إلا بإذن، فإنه أيضاً قد منع من مجرد الإطلاع على البيت من خارج، وأذن لأهل البيت أن يفقؤوا عينه، ولو فعلوا ذلك لما عوتبوا، ولا عوقبوا، لأنهم فعلوا ما أذن به الشارع، والمطلع هو الذي تسبب على نفسه بفعله المشين،

ويدل لذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من اطلع في بيت قوم بغير أذنهم ، فقد حلَّ لهم أن يفقؤوا عينه"، وفي لفظ "... فحذفته بحصاه ففقأت عينه ، لم يكن عليك جناح" متفق عليه[٣].

ولهذا قال في الحديث المتقدم:" لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينيك". وقد عدَّ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مثل هذا العمل، من مظاهر الفسق ، فقال: من ملأ عينيه من قاع بيت قبل أن يؤذن له ، فقد فسق[٤].

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٢/١١.

[٢] تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، تأليف/ عبد الرحمن بن سعدي، ص٦١٠.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقؤا عينه فلا دية له، رقم: ٦٩٠٢. صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم : ٢١٥٨.

[٤] أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، رقم: [١٠٩٢].

ثالثاً: الخلوة:

إن خلوة الرجل بامرأة أجنبية عنه، مظنة لحصول الفتنة بينهما؛ لأن ميل كل جنس إلى الآخر موجودٌ عندهما لا محالة، يضاف إلى الدور الكبير الذي يقوم به الشيطان، متمثِّلاً في تزيين الفاحشة في نفسيهما والإغراء بها.

لذا فإننا نجد الإسلام قد وقف موقفاً حازماً من ذلك، فحرَّم هذه الخلوة من أصلها، سدَّاً لذريع ة الفتنة، وحماية من دواعي الجريمة، وحفاظاً على سمعة المرأة من أن تلوكها الألسن المعادية والمغرضة ، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا مع ذي محرم" متفق عليه[1].

وقال:" لا يدخلنَّ رجلٌ بعد يومي هذا على مغيَّبةٍ ، إلا ومعها رجلٌ أو اثنان[2]."فإنه لا يزيل الخلوة ويقطعها إلا وجود محرم للمرأة، يحصل بوجوده الأمن، وتزول بسببه دواعي الفتنة، ووساوس الشيطان، وإذا وجد أكثر من امرأة أو رجل زالت الخلوة أيضاً في غير مواطن الريب.

رابعاً: قرار النساء في البيوت:

إن الله تعالى قد جعل لكل واحدٍ من الجنسين ما يناسب فطرته وتكوينه من المهام والمسؤوليات، فالرجل مسؤوليته تتمثل في الضرب في الأرض، والسعي في مناكبها لكسب الرزق الحلال، لينفقه على نفسه، وعلى من وجبت عليه نفقته من الزوجة والأولاد وغيرهم.

أما المرأة فمسؤوليتها الرئيسة تتمثل في رعاية شؤون البيت، والمحافظة على الأولاد، وحسن رعايتهم، وتهيئة البيت من جميع الجوانب، ليجد فيه الرجل عند عودته الراحة والطمأنينة والسعادة، ويذهب عنه ما قد يعرض له أثناء عمله من تعب وإرهاق.

ولما كان في خروج المرأة من بيتها بلا حاجة، تعريض لها للفتنة ،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، رقم: [٥٢٣٣]. صحيح مسلم-كتاب السلام، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، رقم: [١٣٤١].

[2] صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، رقم:[٢١٧٣].

وإخلال واضح بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، فقد أمر تعالى النساء بالقرار في البيوت ، فقال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[الأحزاب: ٣٣]. قال ابن كثير: أي إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة[١]. ولمَّا كان لزوم النساء بيوتهن هو الأصل، نجد أن النبي – ﷺ – رخَّص لهن بالذهاب إلى المساجد لأداء الصلاة، وخاطب أولياءهنَّ بذلك، إذ قال عليه الصلاة والسلام: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها" متفق عليه[٣]. فلا تخرج المرأة من بيتها إلا برضا وليها ملتزمة بالحجاب الشرعي نابذة للتبرج والسفور ، ولا تخرج إلا لحاجة، لا للتسكع في الأسواق والحدائق ، بل لزيارة والديها وأقاربها، أو مراجعة مستشفى، أو تحصيل علم تحتاج إليه، ونحو ذلك.

خامساً: الغيرة على المحارم[٤]

إن غيرة الرجل على محارمه من العوامل المهمة ، والوسائل الناجعة في حماية الأسرة من الانحراف، والتعرض لأسبابه ودواعيه، وكلما قوي الإيمان في قلب المؤمن، قويت عنده الغيرة وزادت، وهي تنقص بنقص الإيمان، بل قد تتلاشى وتضمحل بسبب ما يقترفه العبد من الذنوب، ولهذا عدَّ ابن القيم ذهاب الغيرة أثراً من آثار الذنوب والمعاصي فقال: "ومن عقوباتها أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، إلى أن قال: أشرف الناس وأعلاهم قدراً وهمة، أشدهم غيرةً على نفسه وخاصته

---

[١] تفسير القرآن العظيم، تأليف الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير ٤٨٢/٣.

[٢] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، رقم:[٤٤٢]

[٣] صحيح البخاري، كتاب الأذان ، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد، رقم [٨٧٣] واللفظ له ، صحيح مسلم، كتاب الصلاة ، باب الصلاة ، باب خروج النساء إذا لم يترتب عليه فتنة ، رقم: [٤٤٢] وهو لفظ آخر للحديث السابق.

[٤] الغيرة: قال عياض وغيره: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. وقال ابن القيم: أصل الغيرة : الحمية والأنفة. انظر: فتح الباري ٣٩٧/٩؛ روضة المحبين، ص٣٠١.

وعموم الناس"[١].

والغيرة من صفات الرب جل وعلا، وتفسير غيرته سبحانه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله[٢]"، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله[٣]"، والنبي ﷺ أشد الأمة غيرة، لأنه كان يغار لله ولدينه [٤].

---

[١] الجواب الكافي، تأليف العلامة/ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، ص٥٩.

[٢] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة ، رقم : [٥٢٢٣].

[٣] المصدر نفسه رقم : [٥٢٢٠] انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٩٧/٩.

[٤] انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٣٩٨/٩.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، الحمد لله الذي شرع وقدر، وقضى فأحكم، وأمر ويسر، وأنذر وبشر، والحمد لله على ما من به ولطف من إتمام هذا البحث المتواضع الذي قصدت أن يكون مبيناً جانباً من عظمة هذا الدين العظيم،

وقد ظهر لنا في هذا البحث أن القرآن الكريم شامل مقوم من مقومات الحياة والأحياء فما من مقوم يحتاج إليه البشر إلا جاء الإسلام يدعو إليه سواء في ميدان العلم، أو ميدان الاجتماع، أو ميدان الإدارة.

نتائج البحث:

١ – القرآن الكريم أساس النهضة والمجد والرفعة والسمو بالمجتمع.

٢– نجاح المجتمع يعتمد بصورة أساسية على مراعاة القيم الأخلاقية في مجال التعامل مع الآخرين.

٣–إن الإنسان يتأثر بمحيطه وواقعه، وعلى المصلحين أن يقوموا بدورهم لترشيد السلوك الإنساني وتقويمه.

٤– القرآن الكريم يأخذ بالإنسان؛ ليحرره من الصفات الذميمة، ويُحَوِّل تلك الصفات إلى قيم إنسانية عليا.

٥– تميزت الأمة الإسلامية بالسماحة، فسادت القيم الإنسانية النبيلة في واقع الناس بين المسلمين بعضهم ببعض، وبينهم وغيرِهِم من الناس من أصحاب الديانات الأخرى.

٦–إن الإسلام هو انقياد الناس لله رب العالمين مهما اختلفت وتعددت الشرائع السماوية.

المصادر والمراجع:

رقم	المرجع
أولاً	القرآن الكريم
ثانياً	كتب التفسير وعلوم القرآن:
١	– تفسير التحرير والتنوير، تأليف : محمد الطاهر بن عاشور ، ن: دار سحنون بتونس
٢	– تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء ، ن دار الفكر، ١٤٠١.
٣	تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، تأليف/ عبد الرحمن بن سعدي،
٤	– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : محمد بن جرير الطبري ، ن: مؤسسة الرسالة ، المحقق: محمد أحمد شاكر ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ
٥	مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني
ثالثاً	كتب السنة وشروحها:
٦	سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ.
٧	سنن أبي داؤد، للحافظ أبو داؤد سليمان بن الأشعث، تحقيق د. بدر الدين جيتين آر، موسوعة السنة، ط٢، تونس، دار سحنون ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
٨	السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٣هـ.
٩	سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،

	موسوعة السنة، ط٢، تونس، دار سحنون للطباعة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
١٠	صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط١، دار ابن كثير، ١٩٨٧م.
١١	صحيح مسلم، للإمام أبو الحسين مسلم بن الحسين تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، تونس، دار سحنون ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
١٢	صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م.
١٣	فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية.
١٤	المسند للإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
١٥	بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ت٥٩٥هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ=١٩٩٥م.
١٦	مجموع فتاوى بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
	كتب الدراسات الإسلامية:
١٧	إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، دار المعرفة، بيروت.
١٨	طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ن دار الوطن،
١٩	الأسرة المسلمة في العالم المعاصر لوهبة الزحيلي،
	المعاجم والموسوعات:

٢٠	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أميل بديع يعقوب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
٢١	لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط١، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
٢٢	مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، رتبه محمود خاطر، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٣	معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل الضبي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
٢٤	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
٢٥	المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.
	كتب التراجم:
٢٦	الإصابة في معرفة الإصابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
٢٧	سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.